أثـــرالفكـــــر الإسـلامي في أسس التربية

د. عائشـــــة البشـير على الأسطـــــى ـ كلية التربية أبي عيسى
جامعة الزاوية.

المقدمــة:

لا شكَّ أنَّ السنة النبوية تعتبر من أهم مصادر التربية الإسلامية المتكاملة سواء في إعداد وتنشئة الفرد، أم في تكوين وتوجيه الجماعة، وذلك لكونها زاخرة بالأسس والمبادئ والدعائم التربوية الحية والمتجددة التي إن اتبعناها في مناهجنا ونظمنا التعليمية وتوجيهاتنا الأخلاقية، وإرشاداتنا الاجتماعية، لكفلت لنا بحق، تكوين "الإنسان" الإنسان الصالح " و "المجتمع الصالح" على نحو من الكمال الإنساني المنشود. وتعتبر السنة النبوية مصدر تربوي حيوي عظيم.

إنَّ أصول التربية موجودة في القرآن الكريم، حيث تتمثل تلك التربية في القصص القرآني ومواقف الرسل مع قومهم، وكذلك بعض القضايا التي تمسُّ النفس مسًّا مباشرًا فتكشف أبعادها.

وأهمية التربية في تنمية الفرد والمجتمع أصبحت اليوم من الحقائق المسلم بها بين المربين والاجتماعيين والاقتصاديين والسياسيين، وأصبحت نظرة هؤلاء جميعًا إلى ما يصرف على التربية هو نوع من الاستثمار والتنمية، ومن نواحي التنمية والإعداد التي يمكن للتربية الصالحة أن تسهم فيها بالنسبة للفرد المسلم هي: تفتيح شخصيته وتنمية جوانبها المختلفة في الاتجاه المرغوب فيه لمجتمعه الإسلامي.

الهدف من البحث:

ويأتي هذا البحث محققًا لمجموعة من الأهداف لعلَّ أهمها الوقوف على أهم أسس وملامح التربية الإسلامية في الفكر التربوي الإسلامي، وإظهار نهج الفكر الإسلامي في جميع الجوانب التربوية.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا الموضوع في نشر الوعي بأسس التربية الإسلامية، وأهميتها الكبرى في بناء المجتمع.

المنهجية:

لقد انتهجتِ الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، وبالإضافة إلى المنهج الاستنباطي. بتحليل ومقارنة بعض الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأفكار الواردة في سياق البحث.

إشكاليات البحث:

إنَّ هذه الدراسة تحاول أن تجيب عن طائفة من الأسئلة، وهي كما يلي:

1ـ ما تعريف مصطلحي الفكر الإسلامي والتربية؟

2ـ ما أهم مصادر الفكر الإسلامي، وكيفية نشأته؟

3ـ ماهي أهم القواعد والأصول التربوية في الهدى النبوي الشريف؟

4ـ كيف يتم الربط بين التوجيه والإرشاد والمواقف في التربية النبوية؟

وتصوّرت عناصر البحث ومراحل إنجازه في: مقدّمة ومحورين وهي على النحو التالي: المحور الأول: أولًا: تعريف الفكر الإسلامي، وكيفية نشأته، وأهم مصادره. ثانيًا: تعريف التربية وأهم أهدافها، وأسسها في الفكر الإسلامي، المحور الثاني: أولًا: المبادئ التربوية التي ينبغي أن تبنى عليها الفلسفة التربوية.

ثانيًا: أهم مقومات وشروط الفكر التربوي الإسلامي.

ثالثًا: آثار الفكر التربوي الإسلامي على المجتمع.

وستُذيّل الدّراسة بخاتمة وستُسجّل فيها أهمّ النّتائج التي سأتوصّل إليها.

المحور الأول ـ تعريف الفكر الإسلامي، وكيفية نشأته، وأهم مصادره:

تعريف الفكر الإسلامي: " الفكر الإسلامي" مركَّب إضافي من كلمتي الفكر والإسلام.. و"الفكر" هــو إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول. أما "الإسلام" فهو الشريعة الخاتمة التي أرسل الله بها نبيه محمدًا ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ وهو دين الأنبياء جميعًا، الذين اتفقت عقائدهم واختلفت شرائعهم. وعلى ذلك فـ "الفكر الإسلامي" هو: "ما أنتجه وما ينتجه العقلُ المسلم من خلال تعامله مع النصوص الإسلامية وَفْــقَ منهج علمي "، فهناك " موضوع للفكــر" ، هو المشكلات المتعلقة بالدِّين والفكر والحيا ة، وهناك "منهج عقلي" لتناوله، وهناك إلى جانبهما "مرجعية معينة أو أصول شرعيَّة " في ضمير المجتمع وثقافته ، وجاءت نشأة الفكر الإسلامي مع نشأة الإسلام ذاته ؛ لأنَّ الإسلام جاء بإعمال العقل ، ودعا إلى التدبر والتفكر والتفقه، سواء في كون الله المنظور، أو في كتابه المسطور، أو في تاريخ الأمم والشعوب السابقة وموقفها من أنبياء الله ورسالاته، وعلى هذه الدعوة للتفكر والتدبر والتعقل والتفقه، تأسس الفكر الإسلامي

وقطع أشواطٍ في تأسيس العلوم التي دارت أولًا: حول القرآن الكريم حفظًا وفهمًا، ثم تفرَّعت العلوم واستقلَّت، وخرجتِ الدرايةُ من الرواية، وتشعَّب العلوم إلى علوم مقاصد (مثل العقيدة والفقه والتفسير والحديث) وعلوم الآلة (مثل علم أصول الفقه، وأصول التفسير، ومصطلح الحديث، وعلوم اللغة).[1]

ويستمد الفكر الإسلامي مادته من عدة مصادر.[2] وأول هذه المصادر

1- **القـــــرآن الكريم :** فهو أساس الإسلام وعماده، وهو الوحي الخاتم الذي تكفَّل الله تعالى بحفظه، والقرآن الكريم من حيث الثبوت: قطعي الثبوت، ومن حيث الدلالة: منه قطعي الدلالة مما لا يحتمل إلا فهمًا واحدًا، ومنه ظني الدلالة مما يجوز فيه تعدد الأفهام. وعلى هذا الاعتبار، أوجد الفكر الإسلامي لنفسه مساحة واسعة في تدبر كتاب الله- تعالى -، وتشعَّب هذا التدبر إلى مدارس واتجاهات متعددة، سواء في التفسير أو استنباط الأحكام أو غير ذلك.. ممَّا أثرى الفكر الإسلامي وأغناه.

2- **السنة النبويـــــــة :** فهي المصدر الثاني للإسلام، وهي أقوال النبي - صلى الله عليه وسلم - وأفعاله وتقريراته، ومجال إعمال العقل في السنة واسع جدًا، نظرًا لاتساع مساحة ظني الثبوت فيها، بخلاف القرآن الكريم، فضلًا عن ظني الدلالة منها. وقد مارس المسلمون هذا الإعمال للعقل في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحادثة المشهورة حينما استنفرهم للذهاب إلى بني قريظة، قائلًا : " **لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إلَّا في بني قُرَيظة** " (رواه البخاري). واختلفوا في تفسير ذلك حينما حانت صلاة العصر، على النحو المعروف، وأقر النبي - صلى الله عليه وسلم - كلا الفريقين على موقفه، مَنْ صلَّى العصر في وقته حين أدركه، ومن أخّره حتى وصل إلى بنـــــي قريظة.

3- **الفكر الإنسانـــــي عامـة** : فالفكر الإسلامـي لم ينعزل عن الإنتاج البشري في العلم والمعرفة، وانفتح على الآخرين ورحب بما لديهم، ولم ينغلق على ذاته، لكن من حقه أن يرفض ما في هذا التراث البشري، ممَّا يخالف الأصول الإسلامية ويناقضها، ولهذا ترجم المسلمون علوم الطب والكيمياء والفلك أولًا قبل أن يترجموا الفلسفة والمنطق، كما رفضوا ترجمة الأساطير اليونانية التي تقوم على الوثنية وتعدد الآلهة وصراعاتها فيما بينها. [3]

فهناك موضوع للفكر هو المشكلات المتعلقة بالدِّين والفكر والحياة، وهناك منهج عقلي لتناوله، وهناك إلى جانبِهما مرجعية معينة أو أصول مرعيَّة في ضمير المجتمع

وثقافته، وهذا حال كل فكرٍ اجتماعي فيما أزعم، والفرق إنَّما يتمثَّل في نسبة الالتزام بهذه المرجعية، ومراعاة هذه الأصول الفكرية، والاستهداء بتلك المبادئ المشتركة في التماس الحلول، فقد يتفاوت ذلك كله من حالة إلى أخرى.

وللفكر الإسلامي دون مراءٍ وضعية خاصة في هذا الصدد، ومن حيث قوة الالتزام - ولو في زعم المؤلِّف وحسب تأويله الخاص - بأصول الشريعة المتضمَّنة في القرآن الكريم السُّنة الصحيحة، والراسخة في ضمير الأمة باعتبارها مصدرَ الشرعية العليا، والتي تتيح للفكر الذي يظهر بين المسلمين أن يوصف بأنَّه (فكر إسلامـــي).

ووَفْقَ هذا الفهم لمعنى الفكر الإسلامي عرَفت الحضارة الإنسانية علومًا إسلامية دار بعضها حول النص القرآني، أمثال علوم اللغة والتفسير ونحوها، كما كان بعضها بيانًا لِما جاء في المصادر الإسلامية (الكتاب والسنة) من عقائد، وسنن اجتماعية، وضوابط تفكير، فكانت علوم العقيدة، ومناهج البحث، وعلوم أصول الحديث والرجال ونحوها، كما كان بعضها استجابةً لدعوة الإسلام إلى إعمال العقل، والتأمُّل في الكون، مثل الكيمياء، والفلك، والرياضيات، ونحوها، وهكذا كان المفكر المسلم مستجيبًا لضوابط عقيدته، وحاجات الحياة حوله. (والحق أنَّ الأمر بالنسبة للفكر والمفكر المسلم، يختلف عنه في كل حضارة أخرى أو فهم آخر، لأن الفكر مِن أول الأمر - وهذا ما يجب أن نؤكِّده دائمًا - قد ارتبط بأصول الإسلام، وهي واضحة بأدلَّتها، بالإضافة إلى أن منهج الإسلام - سواء في مجال علوم الدين، أو في مجال العلم والفلسفة بوجه عامٍّ - منهج عقلي، ولم تكن المشكلةُ في الإسلام هي مشكلةَ التوفيق بين الدين والعقل، بل فهم الدين بالعقل)[4].

ووَفْـقَ هذا الفهم ينبغي أن نُدرك الفرق بين قدسيَّة المرجـــع في الفكر الإسلامي، وعملية التفكير ذاتها بما تنتجه من علوم ومعارف؛ إذ يجوز على التفكير باعتباره جهدًا بشريًّا أن يخطئ وأن يصيب، وفي الإسلام لكلٍّ مقدارٌ من الأجر، لكن مرجعية هذا الفكر مَصُونة مقدَّسة، لأنَّها إذا كانت قرآنًا فهو من لدن حكيم خبير، **(وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)**[5]، وإذا كانت سُـــنةً صحيحة فهي مرعية بالوحي من الله سبحانه، وقال - تعالى-: **(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)**[6].

الفكر الإسلامـــي والسلوك الملتزم: إنَّ الالتزام عند المسلم مرتبطٌ بأشياء لا بدَّ أن تُوجد ليوجد هذا الالتزام، أولها نص أو مبدأ أو عقيدة تحدد دوائر عَلاقات الإنسان

بخالقه، ونفسه، والناس، والكون بعامة، وهذا ما أشرنا إليه بالمرجعية التي تتمثل في الكتاب والسنة.

لكن هذه النصوص تحتاج إلى عملية عقلية تتأمَّل النصوص وَفْــقَ قواعد الاستنباط أو المنهج العلمي للتفكير، والدعوة إلى هذه العملية موجودةٌ في النصوص حفزًا على التعلم والتفكر، ودعوة إلى تتبع روافد المعرفة من نص ومن آيٍّ لله في الكون والناس، وهي ما أسميناه بالتفكير الذي يكون مستحقًّا للقلب (الإسلامي) حين ينضبط بالمرجعية والمنهج في موضوع بحثه؛ ولأنَّ الإنسان ليس عقلًا فقط، فهو مزوَّد بطاقات الحس والقلب ونحوها، احتاج لكي يلتزم بما فهمه العقل من نصوص، احتاج إلى ترسب هذا الفهم في الوجدان، فتنفعل به طاقات الإنسان فيخرج سلوكًا ملتزمًا بالفكر المنبثق من عقيدة وغيب خاص به.

إذًا، الفكر الإسلامي - أو نتاج العقل المسلم - واسطة بين النص والسلوك، مصدره النص، ووظيفته تغيير السلوك إلى مقتضى ما جاء في الكتاب والسنة. والذين اختارهم الله لهذا العمل، هم مقتدون بالرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - في مهمة الفهم والتبليغ بما يستلزمه من جهد في الاستنباط، **(لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ)**[7]، وحديث الرسول - صلى الله عليه وسلم -:(**إنما أنا لكم مثل الوالد أُعلِّمكم**)، والرجاء مِن هذا العلم والتبليغ هو الانفعال به، والاقتناع الذي يدفع إلى سلوك، **(فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)**.[8]، وفي ضوء هذه الإشارات ينبغي أن نفهم الجانب العملي المعلم في الإسلام (إنَّما العلم للعمل)، وحرمة كتمان العلم: (**منْ كَتَمَ عِلْمًا يَعْلَمُهُ، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مُلَجَّمًا بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ"** ، ومسؤولية العلماء في نصح الحكام والعامة على السواء، قال - صلى الله عليه وسلم - :"**... إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَوَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ فَقَدْ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ** "[9]، وهذه السِّمة العملية للفكر الإسلامي تُبرز اهتمامه بالواقع ومحاولة ترشيده وتوجيهه نحو الأفضل والأمثل.، وإسهامات العلم الإسلامي في مجالاته المختلفة هو الدليل العملي على تبنِّي العلماء لقضايا عصورهم، وعلى آثارهم في حياة الناس في كل عصر، فضلًا عن أثرهم على الحضارة العالَمية، حيث أتيح لها أن تتعرَّف إلى العلم الإسلامي في بغداد وقرطبة وغيرهما من عواصم بلاد المسلمين. ومن هنا كان مِن الفكر الإسلامي ما قدَّمه علماء المسلمين من اهتمام

ودراسات بعقيدة السلف، أو الأخلاق، أو التعليم، وكذلك ما تقدمه من تصور لوحدة فكرية للأمة الإسلامية.[10]

ثانيًا ـ تعريف التربية وأهم أهدافها، وأسسها في الفكر الإسلامي: تعريف التربية: يقول ابن منظور في لسان العرب: ربَا الشيء يربو ربُوًا ورَباءً، زاد ونما- وأَربيتُه – نمَّيته – وفي التنزيل "يُربِّي الصدقات" – وأرض مُربية – طيِّبة – وقد رَبَوت في حجره، رُبوّا وربَّوًا، وربيتُ ربِاءً ورُبيًّا كلاهما – نشأتُ، وفي المحيط للفيروزآبادي: رَبَوت في حجره رَبْوًا ورُبُوًا و رَبَوت ربِاء ورُبيًّا – نشأت – وربَّيته تربية- غذوته - ويقول الجوهري في صحاحه: أَرْبيت – إذ أخذت أكثر مما اعطيت – رَبَّاه تربية وتربَّاه – أي: غذَّاه – وهذا لكل ما ينمى كالولد والزرع ونحوه، وتعريف التربية عند الدكتور جميل صليبا يعرف التربية في معجمه الفلسفي على النحو التالي: ((التربية هي تبليغ الشيء إلى كماله، أو هي كما يقول المحدثون تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئا فشيئا، تقول: ربَّيت الولد، اذا قويت ملكاته ونميت قدراته وهذبت سلوكه حتى يصيح صالحا للحياة في بيئة معينة. [11] التربية ترجع في معناها اللغوي إلى الفعل ربّي أي بمعنى نما وزاد، جاء في قوله – تعالى - : [**وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ**] [12]، وربّي في بيت فلان نشأ فيه، وربّي بمعنى نمىّ القوى العقلية والجسدية والخلقية، وفي قوله تعالى: [**قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ**][13]، وأيضًا قوله تعالى: [**وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**].[14] إشارات إلى ذلك المعنى اللغوي للتربية، الذي يعتبر هو لب التربية، حيث تتعدد معانيها، فهي بمعناها الواسع تعني كل عملية تساعد على تشكيل عقل الفرد وجسمه وخلقه باستثناء ما قد يتدخل فيه من عمليات تكوينية أو وراثية، وهي بمعناها الضيق تعني غرس المعلومات والمهارات المعرفية من خلال مؤسسات أنشئت لهذا الغرض كالمدارس. [15]

التربيـة في المفهوم الإســـلامي: إنّ التّربيـــة تمثل الأصـول الحقيقة للتربية؛ لأنَّها تنطلق أساسًا من تعاليم سماوية تتمثل في القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وممَّا جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - ذلك الرجل اليتيم الفقير، الذي لم يشتهر بقوة السّـــلاح ولا كثيرة المال، وإنَّما اشتهر بين قومه بأنَّه الصادق الأمين، الذي بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق، وليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، فهو المعلم، وهو المربي الذي رباه فأحسن

تربيته وأدبه فأحسن تأديبه، لذلك نجد أنَّ أصول التربية الحقيقية إنَّما تنطلق من أساسين هما التعاليم التي تنطلق منها التربية، وهذا هو أصل التربية الأول، و- أيضًا- من الذي يقوم بالتربية، وهذا هو الأصل الثاني.

فأما أصلها أو أساسها الأول، فهو القرآن الكريم الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، يشهد له بذلك من لا يؤمـــن به فهو أصل التربية الذي جاء كاملًا خلافًا للكتب السماوية السابقة، وإذا استعرضنا الدّيانات السابقة وجدنا أنَّ اليهودية جاءت مبنيةً على المادة فهي ديانة مادية، وجاءتِ المسيحية خلافًا لها فهي ديانة روحية فكلا الديانتين منقوصة، فالمسحية ينقصها الجانب المادي، واليهودية ينقصها الجانب الروحي، جاء الدين الإسلامي ليكون دينًا كاملًا يجمع بين مادية اليهود وروحانية المسيحية، يتضح ذلك من اقتران الصلاة بالزّكاة في مواضع كثيرة من القرآن، ولهذا فإنَّ هذا الدين قد شمل الجانبين المادي والروحي، وجاء دينًا كاملًا كما في قوله - تعالى -: [**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا]**[16].... إن التربيـــة التي نادى بها الإسلام، هي أشمل روحيًا من جميع ما نادى به الأقدمون والمحدثون.[17]

وأهم أهداف التربيـــة في الفكر الإسلامي تختلف وجهات النظر حول أهداف التربية فكل ينظر لها من جانبه، ومن منطلقه ومستوى تعليمه إلَّا أنَّهم جميعًا يتفقون على أنَّ الهدف الأسمى للتربية الإسلامية هو إعداد الإنسان الذي يعبد الله ويخشاه، فإذا ما تمت هذه الصورة في أي إنسان وصل إلى درجة الكمال في التربية، غير أنَّ هناك من يرى أنَّ أهداف التربية تتركز في الهدف الديني، الذي يقوم على تعلم القرآن ومعرفة العبادات المفروضة، أي معرفة الدين علمًا وتطبيقيًا ذلك أنَّ الدين الإسلامي هو دين ودوله، وأما المحدثون فيرون أنَّ الهدف التربية الإسلامية هي أهداف دينية وعقلية ونفسية، كذلك هناك من يقسمها إلى أهداف دينية وعقلية واجتماعية ومادية.

غير أنَّ بزوغ فجر الإسلام ببعثة محمد - صلى الله عليه وسلم - يمثل تربيةً جديدةً مغايرةً لما كانت عليه التربية عند العرب، ولهذا جاءت أهدافها ساميةً متمثلةً في بلوغ الكمال الإنساني؛ لأنَّ الإسلام نفسه يمثل كمال الدين فهو خاتم الأديان وأكملها، جاء في قوله – تعالى-: [**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**][18] وقوله تعالى:[**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ]**[19] انطلاقًا من هذا الهدف الأسمى فإنَّ هناك عدة أهداف منها:

1- تحقيق العبودية لله وحده: يعدُّ تحقيق العبودية لله - تعالى- هو الهدف العام الأسمى الذي تسعى التربية الإسلامية إلى تحقيقه؛ وذلك لأنَّ عبادة الله – تعالى - ، والقيام بواجب الاستخلاف في الأرض هو الهدف الأساسيّ من خلق الإنسان وإيجاده، والعبادة هي اسم عام يضمّ جميع الأقوال والأعمال والاعتقادات، سواء كانت ظاهرة أم باطنة؛ فيكون منهج الإنسان في حياته وسلوكه موافقًا لما أراده الله - تعالى- وأمر به، ويبتعد عمّا نهى الله - تعالى- عنه، وحذّر منه.[20]

2- كمال سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة. فكمال التربية في الإسلام يشمل الإنسان روحًا ومادة ويشمل التغيرات التي يمر بها الإنسان في دنياه وأيضًا مصيره الذي يكون عليه في آخرته والذي يحقق له سعادة الدارين. [21]

1- **تنشئة الإنسان الذي يعبد الله ويخشاه .** جاء في قوله – تعالى- : **[وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ]**،[22] وعبادة الله وخشيته أساسها العلم بأنَّ الله أحق أن يعبد **[إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء]** [23] وما دام العلم هو سبيل التقــوى وخشية الله، فقد حث الله على العلم ورفع مكانة أهله وفضلهم على غيرهم. وقوله - تعالى - : **[يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ]** [24]

2- **اتصاف الفرد المسلم بالأخلاق الحميدة :** يقتدي الفرد المسلم بأخلاق النبي محمّد - صلى الله عليه وسلم - الذي شهد له الله - تعالى- بحسن خلقه، فقال –تعالى:[**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**][25]، ويُهيئه ذلك للقيام بواجب الدعوة إلى الله -عز وجل- والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

3- **زيادة الشعور الجماعي لأفـــراد المجتمع الإسلامي** : تثبّت التربية الإسلاميّة لدى المسلم رابطة الانتماء إلى الأمّة الإسلاميّة، والاهتمام بقضاياها المختلفة، وتوثيق أواصر الأخوّة الإيمانية بين أفراد المجتمع المسلم، ممّا يسهم في نهضة المجتمع المسلم، وقيامه على أساس الشريعة الإسلامية.

4- **الحفـاظ على الفطـرة السليمة ورعايتها :** يكون ذلك عن طريق تعريف الإنسان بربّه - تعالى- الذي خلقه وأوجده، وقيام العلاقة بين الخالق والمخلوق على مبدأ عبوديّة المخلوق، وتفرّد الخالق بالألوهيّة.

5- تهيئة المسلمين لحمل رسالة الإسلام: يكون ذلك عن طريق إنشاء جيل قادر على نشر رسالة الإسلام في جميع أنحاء الأرض، وإقامة الحقّ والعدل بين الناس، ورفع كلمة الله -تعالى- في أرضه.

6- غـــرس القيـــم الإيمانية في النفوس: تهدف التربية الإسلامية إلى قيام الناس على أساس الوحدة الإنسانيّة، والمساواة بين الناس، كما تغرِّس الإخلاص واستحضار النيّة في النفس البشريّة، وتحثّ على الصبر، والصدق، واليقين، واستشعار مراقبة الله -تعالى-.

8- **نشـــر العلـــم والثقافة** : دعا الإسلام في أوّل نشأته إلى العلم، وحثّ عليه، وجعله فريضة على كل مسلم، سواء كان ذكرًا أم أنثى؛ وذلك لأنَّ العلم وسيلة لعبادة الله- تعالى- بإخلاص، وهو وسيلة لتربية المسلم على الأخلاق الحميدة، وقد دعا القرآن الكريم إلى طلب العلم، والسير في طريقه، فقال - جلّ وعلا -:[**فَاسأَلوا أَهلَ الذِّكرِ إِن كُنتُم لا تَعلَمونَ**]،[26] ولفضل العلم رفع الله - تعالى- مكانة العلماء، وجعل ذكرهم مقرونًا بذكره -تعالى-، وذكر ملائكته الكرام، فقال الله - تعالى-: [**شَهِدَ اللَّـهُ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**][27] والعلماء هم ورثة أنبياء الله –تعالى -، وخيرته من خلقه، يستغفر لهم أهل الأرض والسماء.[28]

9- تقوية الروابط الإسلامية بين المسلمين: ويتم ذلك عن طريق التضامن الإسلامي وخدمة قضايا المسلمين بما تقدمه التربية الإسلامية من المناداة بتوحيد الأفكار والاتجاهات والقيم بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وبهذا تكون عاملًا فعالًا في تماسكهم ووحدتهم ولم شملهم وجعلهم على قلب واحد، وكأنَّهم جسم واحد يقول الرسول- صلى الله عليه وسلم-: " **تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّ**"[29] (رواه البخاري)

أسس التربيـــــة في الفكر الإسلامي :

تنطلق أسس التربية الإسلامية من التعاليم السماوية التي نزل بها جبريل على محمد - صلى الله عليه وسلم - ، والمتمثلة في القرآن وفي سنة الرسول- صلى الله عليه وسلم - ، جاء في قوله تعالى[**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ**]،[30] وهي بهذا تكون أساس السعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، وأنَّها طريقه إلى

الهدى ومانعة له من الظلال. "يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - **" إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي "**.[31]

ولهذا كان أساس التربية الإسلامية القرآن والسنة، غير أنَّ المفسرين استطاعوا أن يستخلصوا من أحكام الكتاب ومن أقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - مجموعة من الأسس التي تشكل المفهوم الحضاري للفكر التربوي الإسلامي والمتمثلة فـــي :

1- **التربيـــة الإسلاميـــة تربية تكامليـــة:** فهي لا تقتصر على جانب واحد من شخصية الإنسان، وهي بهذا ترفض النظرة الثنائية، ثنائية العقل والجسم، وتنظر إلى الإنسان نظرة متكاملةً تشمل جوانب شخصيته الجسمية والعقلية والنفسية، وتعمل كلها في إطار واحد تخدم بعضها بعض. [32] ويتأثر بعضها ببعض، والرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول: **" أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ "**.[33]

2- التربية الإسلامية تربية سلوكية عملية: فهي تجمع بين القول والعمل، فلا يفيد القول ما لم يكتمله العمل ولما سئل الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن الإيمان قال: **" ما وقر في القلب وصدقه العمل"** وهو الذي يقول "الدين معاملة" ويقول - تبارك وتعالى- : **وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**] [34]، كذلك مبادئ الإسلام وأسسه من شهادة وزكاة وصوم وحج كلها تتطلب سلوكًا لفظيًا وعمليًا، ومن تمام كمال الإنسان أن تتطابق أقواله مع أفعاله، وأن يتحرى الصدق في القول والأمانة في العمل ليتحلى بالفضائل، ويبتعد عن الشرور والرذائل، وإذا تتبعنا أسس التربية الإسلامية نجد أنَّ الرسول- صلى الله عليه وسلم - ، وهو القدوة الحسنة، وهو منبع التربية الإسلامية ذاتها نجده أول ما أتصف به أنَّه جمع بين القول والعمل، فوصف بأنَّه الصادق في قوله والأمين في عمله. [35]

1- **التربية الإسلامية تربية فردية واجتماعية معًا:** التربية الإسلامية تربي فرديًا كما تربي اجتماعيا، فهي تربي الفرد على الفضيلة ليكون مصدر خير لنفسه ولغيره، وإلى جانب هذا تحمله مسئولية أعماله، قال تعالى: [**كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ** رَهِينٌ]،[36] وقوله تعالى:[**لهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**].[37] وقوله - صلى الله عليه وسلم - **" كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، "** [38]. وفي نفس الوقت تكون تربية الإسلام اجتماعية، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - **" الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يُسْلِمُهُ، وَلَا يَظْلِمُهُ،"**[39]، وهو الذي يقول **"المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص"**. [40]

2- **التربية الإسلامية تربية لضمير الإنسان**: التربية الإسلامية تسعى إلى تربية ضمير الإنسان ليكون حيًا يقظًا منتبهًا لكل ما يدور حوله في السر والعلانية، ذلك لأنَّه الموجه للإنسان، فالضمير هو الذي يحس بالعمل الذي يقوم به إن كان خطًا أو كان صوابًا، والله تبارك وتعالى هو الرقيب على تصرفات الإنسان أينما كان يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، لذا كان على الإنسان أن يدرك بضميره أن يعبد الله كأنَّه يراه، وعندما يكون ضمير الإنسان حيًا يقظًا فإنَّه يدرك الله رقيب عليه، وأنَّه يحاسبه على كل كبيرة وصغيرة لذا فإنَّه لا يستطيع ولا يكون خاضعًا لنزواته، وشهواته، ولهذا جعل الإسلام الثواب والعقاب لأنَّه يتمشى مع الطبيعة البشرية.

3- **التربية الإسلاميــة تربيــة متوازنة:** أي: تربية وسط كما أنَّ أمتها أمة وسط، قال- تعالى-: [**كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**] .[41] فهي لا ترجح جانبًا على آخــر، أو فرد على جماعة، أو دنيا على آخرة، بل تخص وتحث الإنسان على أن يتزود من دنياه لآخرتــه. وقال - تعالى -:[**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ** الدُّنْيَا] [42] واعمل لدنياك كأنَّك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا، فهي تختلف عن كافة أنواع التربية فهي ليست دنيوية فحسب بل دنيوية وأخروية وهي ليست تربيةً ماديةً فقط كالتربية اليهودية، أو روحية فقط كالتربية المسيحية، وإنَّما هي وسط بين المادة والروح، وهي بهذا أقرب لطبيعة الإنسان وفطرته وخير الأمور الوسط.

4- **التربية الإسلاميـــــة تربية موجهة نحـــــو الخير**: جاء الإسلام مناديًا بالخير للبشرية وعاملًا به، لهذا بعث الرسول - صلى الله عليه وسلم - من أجل الخير والرحمة قال تعالى-: **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** (43) وبهذا فإنَّ تربيته موجهة نحو الخير خير الفر والمجتمع، فهي تأمر بالالتزام بالفضيلة والخلق الكريم والتحلي بجميل الصفات، ومعاملة الناس بالحسنى، حيث أمر الإسلام يعمل الخير، وجعله من تمام الإيمان، وقال - صلى الله عليه وسلم - **" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"** وجاء في الحديث القدسي" يا أبن آدم افعل الخير فإنه مفتاح الجنة ويقود إليها، واجتنب الشر فإنَّه مفتاح النار ويقود إليها" وأيضًا قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - **" إن لله عبادًا اختصم بقضاء حوائج الناس حببهم في الخير، وحب الخير إليهم، أولئك مبرءون من عذاب الله يوم القيامة"**[44]، ويقول الأمام الغزالي "إنَّ جلب المنفعة ودفع المضرة، مقاصد الحق وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم، لكننا نعني بالمصلحة على مقصود الشرع من خلق خمسة وهو أن يحفظ عليهم دينهم وأنفسهم

وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مفسدة ودفعها مصلحة" (45).

5- **التربية الإسلاميـــــة تربيـــــة لفطرة الإنسان وغرائزه:** الإنسان يولد على الفطرة، ويولد لا يعلم شيئًا وقال –تعالى -: [**وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا**] (46)، يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - " **كُلُّ مَولُودِ يولد على المِلَّةِ فأَبَواهُ يُهَودَانِهِ وَ يُنَصَّرَانه وَيُشَرّكَّانِهِ..**" (47) والكثيرون يفســـرون الفطـــرة بأنَّ الإنسان يولد صفحة بيضاء وعقليةً فطريةً محايدةً، ونحن نتفق مع هؤلاء في البعض وتخالفهم في البعض الآخر، فكون الإنسان يولد صفحة بيضاء قابلةً لأنَّ تكتب عليها ما شئت فهذا لا خلاف عليه، ولكن كون الإنسان يولد عقليةً فطريةً محايدةً، فهذا موضع خلاف، لأنَّ الإنسان يولد على الفطرة، والفطرة في الإسلام فلا يولد محايدًا ولو ترك المولود وشأنه لنشأ يعبد الله بالصورة التي هي عليها ويسبح الله باللغة التي يفهمها ويتكلم بها، شأنه شأن الحيوان والنبات والجماد والجبال، يشير إلى ذلك قوله - تعالى- : [**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَـبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**](48).

6- **التربية الإسلامية تربية متدرجة :** تتمثل هذه القاعدة التي أُقرّت كمبدأ أساسي في العملية التعليمية في كونها تبدأ بالسهل ترويضًا للنفوس إلى أن تصل في مراقيها أعلى درجات السلم التعليمي. وأنَّ أسمى منهج تربوي قد سلكه القرآن الكريم في هذا المجال حيث تدرّج في أحكامه خطوة خطوة مراعيًا في ذلك مدى إلف الناس لعاداتهم الاجتماعية ومقدار امتزاج نفوسهم بها، كتحريم الخمر مثلًا، فقد كانت زينة مجلسهم، ومصدر علاقاتهم وسبيل أُنسهم، ودعامة متينة من دعائم صداقاتهم، مدحوها في أشعارهم، وأثنوا عليها في أدبهم واعتبروها ملهمتهم روعة الفن ورقة العاطفة. كانوا يرون أنَّ سعادة حياتهم بها ولها، لذلك نرى القرآن الكريم تجنّب أن يصبّ حكم التحريم دفعة واحدة: لأنَّ مدرسة التربية الإلهية تحرص كل الحرص على ملاينة المربَّي وأخذه بالرفق والحسنى ليأنس إلى المُتلقى عنه طيب النفس راضيًا. فقد روي الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: "قد الرسول - صلى الله عليه وسلم - المدينة – وهم يشربون الخمر ويمارسون الميسر- فسألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عنها- فنزلت الآية الكريمة قال- تعالى-: [**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ**

تَتَفَكَّرُون].[49] قال الناس: ما حرمت علينا إنما قال: إثم كبير، وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوم يصلّي رجل من المهاجرين وأم الناس في صلاة المغرب فخلط في القراءة. فأنزل الله الآية الكريمة قال – تعالى- : [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ**] [50] ثم نزلت الغلط منها - أيضًا-: قال تعالى: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**] [51]. ثم يرد التعقيب بقوله – تعالى -: [**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ**].[52] إذن، فالمشكلة قد حلّت حلاً نهائيًا بعد أن أقت المسلمين، وشغلت أذهانهم فترة زمنية مرت بدقائقها وساعاتها مثقلة بالقلق والحيرة والترقب والانتظار. إذ الآية الأولى وردت إجابة عن سؤال ملح نابع من قلوب يعمرها الإيمان، قانت وقاست وقدّرت تقدير من ينشد استيفاء المعلومة واستكمال حيثيّات الحكم، فوجدت بعد هداية أنَّ الإيمان الكامل لا يلتقي مع الخمر والميسر والأنصاب والأزلام. [53]؛ إذ كيف يلتقي الطهر والنقاء مع الرجس في مكان واحد؟ في وعاء يحمله المؤمن؟ النظرة الذكية السليمة أدركت هذا فكانت الإجابة قال تعالى: [**فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا**][54]. إنَّها التهيئة والاستعداد، تلك هي المرحلة الأولى، بُدئ الدرس فتفتحت أذهان كثير من الصحابة، تنبهوا إلى خطر هذه العادة على إيمانهم فأقلعوا وابتعدوا عن مواقع الشبهات وتجنبوا أمّ الخبائث. بعد ذلك تأتي المرحلة الثانية ليضيق الدائرة الزمنية على من لا يرى أنَّ الأمر لم يحسم بعد. قال تعالى: [**لا تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ**] [55] فمرحلة الحسم النهائي تأتي بعد التهيئة الكاملة التي جعلت النفوس تتلهف لحل المشكلة كما ارتآه الدرس الإلهي، حيث خُتم كما بُدئ بالتشويق، منافع في أول اللقاء ثم فلاح وفوز في الوداع. إنها التربية الإسلامية والمنهج المتكامل الذي يتلاءم مع النفس البشرية في كل صعودها وهبوطها، ونموها وتوقفها، ورفضها وخضوعها، وحركتها وسكونها، وقلقها وهدوئها. منهج القرآن الذي سلك مسلك التدّرج واليسر والسهولة فقد عمد أيضًا إلى متابعة النفس البشرية لتحيا في اتّزان يكفل لها الصحة والعافية، حيث صبغ أحكامه بصبغة الموعظة والنصح والإرشاد.[56] **المحور**

الثاني ـ المبادئ التربوية التي ينبغي أن تُبنى عليها الفلسفة التربية:

يمكن تقسيم المبادئ التربوية في الفكر الإسلامي أو الفلسفة الإسلامية إلى قسمين أو نوعين: المبادئ الفلسفية التي ينبغي أن تتكوَّن منها، وتُبنى عليها الفلسفة التربوية الإسلامية ، والمبادئ التربوية التي ينبغي أن تُبنى عليها الفلسفة التربوية الإسلامية.

أولًا ـ المبادئ الفلسفية التي ينبغي أن تتكون منها وتبنى عليها الفلسفة التربوية الإسلامية : إنَّ التربية الإسلامية لا يمكن التفكير فيها ولا في فلسفتها إلَّا في ظل تصور إسلامي كامل شامل متكامل للكون والإنسان والمجتمع والمعرفة البشرية والقيم الإنسانية، لأنَّ عملية التربية وأنشطتها المختلفة لا يمكن أن تتم ولا يمكن حتى تصورها بعزل عن هذه النواحي التي أصبحت تكون المباحث الرئيسية للفلسفة لأية فلسفة عامة أو فلسفة تطبيقية، والفلسفة التربوية كفلسفة تطبيقية لابد أن تحدد موقفها من المباحث الفلسفية الرئيسية، وهي: مبحث الوجود، ومبحث المعرفة، ومبحث القيم، وأن تتضمن المبادئ التي تصور موقفها من هذه المباحث.

ومن المبادئ التي يمكن أن تشملها فلسفة التربية الإسلامية منها ما يلي:

1ـ المبادئ التي تقوم عليها نظرة الإسلام إلى الكون:

أ ـ الإيمان بأنَّ تربية البشر وسلوكهم وأخلاقهم لا تتأثر فقط بعوامل البيئة الاجتماعية، بل تتأثر أيضًا بعوامل البيئة الطبيعية، وليس أدل على هذا التأثر ما نلاحظه من اختلاف في طباع وأخلاق وعادات وتقاليد وأساليب حياة السكان في البيئات الطبيعية المختلفة.

أ ـ إنَّ المراد بالكون أو العالم أو الطبيعية هو كل ما عدا الله تعالى من مخلوقات مادية وغير مادية. والكون أو العالم كما يشمل جميع الأشياء المخلوقة من روح ومادة وزمان ومكان، فإنَّه يشمل أيضًا جميع النظم والقوانين التي تسير عليها الطبيعة ككل والتي يسير عليها كل عنصر من عناصرها أو كل جزء من أجزائها.

(د ـ) الإيمان بأنَّ الكون أو العالم بجميع مظاهره وعناصره ومكوناته متغير وفي حركة دائبة مستمرة حسب السنن والغابات المرسومة له من خالقه ومبدعه. وليس بشرط أن يكون هذا التغير من سيء إلى حسن ومن حسن إلى أحسن، وذلك خلافًا لما يدعيه أتباع النظرة الديالكتيكية المادية من أنَّ الحركة تقدمية صاعدة وأنَّ التغير يكون صاعدًا إلى أحسن، الأمر الذي يكذبه الواقع الملموس.

(هـ) الإيمان بأنَّ العالم بكل ما فيه من عناصر وأجزاء يسير في حركته حسب قوانين ونواميس وسنن دقيقة معينة، وحسب علاقات منتظمة تدل على وحدة التدبير والنظام،

وتجعل ملاحظها ومدركها أمام تناسق مطلق وجمال معجز وتدبير حكيم، ونظام متدرج في الأقدار والمواقع، لا يملك معه الإنسان إلا التسليم بعظمة ووحدة متماسكة اللبنات إلى غاية لا مرد لها. والآيات لقرآنية الكريمة الدالة على وحدة الكون وتناسقه وسيره حسب قوانين منتظمة محددة. منها قوله تعالى [**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**](57). وكذلك قوله تعالى: [**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ**] (58). وقوله – تعالى- : [**مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ**] (59). وقوله – تعالى - : [**لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**](60).

(و) الإيمان بأنَّ هناك علاقة ثابتة راسخة بين الأسباب ومسبباتها يمكن ملاحظته في كثير من أحداث العالم وظواهره. وهذه العلاقة هي ما يعبر عنها بقانون السببية الذي يتضمن تأكيد العلاقة بين الأسباب ومسبباتها ويجعل هذا العالم عالم المتتابعات الذي يرتبط بعضه ببعض ارتباط الأسباب بمسبباتها، بحيث ما يحدث فيه الآن هو نتيجة لما سبق وسبب لوجود ما بعده. (61)

ز– الإيمان بأنَّ الطبيعية ليست عدوة للإنسان ولا عقبة في سبيل تقدمه؛ بل هي خير صديق له، وخير أداة لتقدمه ونفعه وخدمته وخير موضوع تنظره وتأمله العقليين ولمتعته الفنية والروحية، وذلك إذا ما استطاع أن يكتشف قوانينها وإذا ما استطاع أن ينتفع بخيراتها ويتصرف فيها بحكمة لخيره وخير غيره من الناس بدون إسراف ولا اعتداء ولا تكبر ولا طغيان، امتثالًا لقول ربه وخالقه: [**وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**] (62)، وقوله – تعالى- : [**وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ**](63)، وقوله تعالى [**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**] (64)، وقوله – تعالى-: [**وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا**](65)، وقوله – تعالى- : [**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ**](66).

(ح) الإيمان بأنَّ العالم كله محدث غير قديم: أصوله وفروعه، عناصره وأجسامه وأعراضه، سماواته وأفلاكه وكواكبه وبحاره وأرضه، وحيوانه ونباته وجماده، ومما يندرج تحت صفة الحدوث الروح، والزمان، وأصل المادة.

(ط) الإيمان بأنَّ لهذا العالم موحدًا وخالقًا عظيمًا خارجًا عنه ومستقلًا ومتميزًا وجوده عن وجود أي شيء منه. هذا الخالق العظيم هو الله تعالى الواحد الأحد المتفرد بالخلق والألوهية والمتصف بكل كمال والمتنزه عن كل نقص. (67)

المبادئ التي تقوم عليها نظرة الإسلام إلى الإنسان : والفلسفة التربوية لا تكتمل إلا إذا استطاعت أن تحدد موقفها أيضًا من الإنسان كعنصر من عناصر الوجود الحادث وتحدد تصورها بالنسبة لطبيعة الإنسان وخصائصه وعوامل تكوينه ومكونات شخصيته. ومن المبادئ التي تؤمن بها بالنسبة للإنسان والتي يمكن أن تتضمنها فلسفة التربية الإسلامية، وهي:

أ- الإيمان بأنَّ الإنسان هو أفضل ما في هذا الكون من عناصر وموجودات ومخلوقات، ميزه الله على غيره من المخلوقات، بكثير من الخصائص والميزات التي استحق بها تفضيله على سائر المخلوقات. فقد خصَّه الله بالعلم والبيان وخلقه في أحسن تقويم، وصوَّره فأحسن صوره واستخلفه في الأرض لتعميرها وإقامة العدل فيها وسخّر له ما في السموات وما في الأرض نعمة وفضلًا منه وتكريمًا له ودعا إلى الحفاظ على حياته وماله وعرضه وحريته، إلى غير ذلك من مظاهر نعم الله على الإنسان التي بيَّنها القرآن الكريم في كثير من آياته، نذكر منها: قوله - تعالى - : [**الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**]. (68) وقوله تعالى: [**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**] (69).وقوله تعالى:[**اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاء بِنَاء وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**]. (70) وقوله تعالى: [**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**]. (71). وقوله - تعالى- : [**وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ**] (72). وقال تعالى:[**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ**](73).

ب - الإيمان بأنَّ تكريم الإنسان وأفضليته على غيره من المخلوقات واستخلافه في الأرض لتعميرها وتحميله أمانة التكاليف وحرية ومسئولية الاختيار والمحافظة على القيم، لا يرجعان إلى جنسه أو لونه أو جماله أو شكله أو ماله أو درجته أو نوع عمله أو فئته الاجتماعية أو الاقتصادية، وإنما يرجعان في المقام الأول إلى إيمانه بالله وتقواه، كما يقول - تعالى- : [**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**] (74). كما يرجعان أيضًا إلى ما خصه الله به من عقل وقدرة على ضبط غرائزه ودوافعه وكبح جماح شهواته ونزواته. (75)

ج) - الإيمان بأنَّ الإنسان هو ذلك الحيوان الناطق القادر على الكلام وعلى استعمال اللغة كأداة للتفكير والاتصال، وعلى وضع المصطلحات وتسمية الأشياء وتمييزها، وعلى التفكير الإرادي الواعي، وعلى اتخاذ العالم الواقعي المحيط به موضوعًا لملاحظته وتفكيره. وعلى التعلم واكتساب المعارف والمهارات والاتجاهات المتجددة باستمرار، وعلى الإيمان بالغيب، وعلى التمييز بين الخير والشر، وعلى كبح شهواته ونزواته، وعلى التكيف مع الظروف الاجتماعية المختلفة وعلى كشف أستار بعض الظواهر الكونية وإخضاعها لسيطرته بعون من الله وتيسيره.

(د) - إنَّ طبيعة الإنسان ذات أبعاد ثلاثة وهي: الجسم، والعقل، والروح. فهذه الأبعاد الأساسية لطبيعة وشخصيته في المفهوم الإسلامي وبقدر ما بين هذه الأبعاد من توافق وانسجام يكون تكامل شخصيته الإنسان ويكون تقدمه وسعادته.

(هـ)- الإيمان بأنَّ الإنسان في أي لحظة من لحظات حياته، وفي جميع جوانب شخصيته ومظاهر نموه هو نتاج لعاملي الوراثة والبيئة اللذين يبدآن عملهما وتفاعلهما منذ بداية عملية التكوين، ثم يستمران في عملهما وتفاعلهما إلى نهاية حياة الإنسان.

2ـ المبادئ التي تقوم عليها نظرة الإسلام إلى المجتمع:

لما كان المجتمع هو أحد العوامل الرئيسية المؤثرة في التربية والاطار الذي تتم في حدوده العملية التربوية والذي يتم في حدوده أيضًا تحديد أهداف التربية ومناهجها وطرقها ووسائلها، لما كان للإسلام نظرته المتميزة للمجتمع والحياة، فإنَّه كان له مبادئ تقوم عليها هذه النظرة، وتتمثل هذه النظرة في ما يلي:

أ– الإيمان بأنَّ المجتمع في أبسط معانيه هو مجموعة من الأفراد والجماعات الذين تربطهم وحدة الوطن والثقافة والدين وما تتضمنه هذه الوحدة من علاقات وعواطف متبادلة ومصالح مشتركة.... وما إلى ذلك من الجوانب الداخلية في المفهوم الواسع للمجتمع.

ب ـ الإيمان بأنَّ للمجتمع الإسلامي هويته المتميزة وخصائصه التي تميزه عن غيره من المجتمعات الإنسانية. فمن خصائصه المميزة أنَّه المجتمع الذي يطبق فيه الإسلام عقيدة وعبادة وخلقًا وسلوكًا وشريعة ونظامًا. والذي يوحد فيه الله ويفرد بالعبادة، ويُعلي فيه من شأن الدين والأخلاق والعلم وكرامة الأنسان والفرد والأسرة، وأنَّه المجتمع الذي يقدر فيه العمل والمال وتحمي فيه الحرية والملكية الفردية والجماعية وتحاط بسياج الدين والأخلاق والعواطف الإنسانية النبيلة،...إلى غير ذلك من الخصائص المميزة للمجتمع الإسلامي والتي تحمل في طياتها مبادئ فلسفته الاجتماعية.

ج ـ المبادئ التي تقوم عليها نظرة الإسلام إلى المعرفة الإنسانية: إنَّ فلسفة التربية لا يكتمل بناؤها إلا إذا تضمنت المبادئ التي ترتكز عليها نظرتها إلى المعرفة البشرية، ومن هذه المبادئ الآتي:

د– الإيمان بأهمية المعرفة كهدف من أهداف الأساسية التي يسعى الأفراد والمجتمعات إلى تكوينها وبناء صرحها من وراء تربيتهم وتعليمهم وأبحاثهم وجهودهم العلمية، وكأداة من أدوات التقدم والرقي للفرد والمجتمع على حد سواء، ولهذه الأهمية رفع الإسلام من شأن العلم والعلماء، قال- تعالى- : [**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**] [76]. وقال تعالى: [**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**]. [77]

هـ – الإيمان بأنَّ المعرفة البشرية هي المعلومات والأفكار والمفاهيم والتفسيرات اليقينية والأحكام والمدركات والتصورات الجازمة التي نكونها عن شيء ما نتيجة لاستعمال حواسنا أو عقولنا أو هما معًا. أو نتيجة لما جاء به الدين ونزل به الوحي الإلهي.

و– الإيمان بأنَّ المعارف البشرية تتفاوت في فضلها وقيمتها حسب موضوعها وغايتها ووسيلتها فأعلاها فضلًا ومرتبة هي معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله ومخلوقاته، ويليها معرفة مسائل الاعتقاد الأخرى، ثم معرفة مسائل الحلال والحرام وأحكام الشريعة الإسلامية... ثم معرفة ما يتعلق بحقائق الكون والمجتمع والحياة.

(أ) الإيمان بأنَّ للمعرفة البشرية مصادر كثيرة متنوعة، ليست الخبرة المباشرة والملاحظة الحسية والتأمل الفكري أو التفكير العقلي والتجارب العملية المنظمة والقراءة والاطلاع على تجارب السابقين والتوجيه الإلهي أو الوحي الإلهي إلا بعض هذه المصادر.

ن ـ الإيمان بأنَّ المعرفة مستقلة عن العقل الذي يدركها وتختزن فيه، وبأن للأشياء حقائق ثابتة وأن لها وجودًا مستقلًا عن أذهاننا، فاكتساب المعرفة لا يعدو أن يكون وظيفة من وظائف العقل... إنَّ عقولنا عند ما تحاول إدراك الحقائق فإنها لا توجدها وإنما تحاول اكتشافها وإظهارها فقط والعلم بجميع أنواعه لا يعدو أن يكون كاشفًا لما خلقه الله سبحانه، وما هو موجود في علمه منذ الأزل، وقال تعالى: [وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء]. [78]

3ـ لمبادئ التي تقوم عليها نظرة الإسلام إلى الأخلاق:

بالنسبة لمبحث الأخلاق، فأن الإسلام فيه ترتكز على المبادئ التالية:

أ– الإيمان بأنَّ الأخلاق من أهم المعاني في الحياة، تأتي مرتبتها بعد الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وما يشتمل عليه من حشر وحساب وجزاء- وبقضاء الله وقدره...ولأهمية الأخلاق كان من بين ما أثنى به الله على نبيه محمد- صلى الله عليه وسلم - قوله - تعالى- : [**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**] [79]، وقد حصر النبي - صلى الله عليه وسلم - هدف رسالته في الأخلاق، ذلك عندما قال (**إنَّما بعث لأتمم مكارم الأخلاق**).

ب ـ الإيمان بأنَّ الخلق عادة أو اتجاه راسخ في النفس تصدر عنه الأفعال بسهولة

(أ) ويسر، تتعاون في تكوينه عوامل وراثية وبيئية. يأتي في مقدمة العوامل

(ب) الوراثية الذكاء ونوع المزاج، ويأتي في مقدمة العوامل البيئية التربية والتعليم والتوجيه والتدريب والتمرين.

ج ـ الإيمان بأنَّ الأخلاق مكتسبة في مجموعها، وأنَّها تتأثر بعوامل الزمان والمكان وظروف المجتمع وعاداته وتقاليده ونظمه وتوقعاته وأنَّها غير معصومة وأنَّها قابلة للتغيير والتعديل عن طريق عوامل البيئية، وقال تعالى: [**إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**][80] ويقول - صلى الله عليه وسلم - **"حسنوا أخلاقكم"**.[81]

د- الإيمان بأنَّ الأخلاق الإسلامية لها من الخصائص والمميزات ما يجعلها تتمشى مع الفطرة والعقول السليمة وتلبي حاجات الفرد المستقيم الصالح وحاجات المجتمع الفاضل في كل زمان ومكان وتنظيم كافة علاقات الإنسان بغيره. ومن هذه الخصائص خاصية الشمول الاتساع، وخاصية التوازن، وخاصية الاعتدال وخاصية الواقعية وخاصية الربط بالعمل والتطبيق وخاصية الثبات في القواعد العامة والتغير في إطار الثوابت العامة[82].

هـ ـالإيمان بأنَّ الغاية القصوى للدين والأخلاق هي حقيقة سعادة الدارين والكال النفسي للفرد وتحقيق السعادة والتقدم والقوة والمتعة للمجتمع.

و ـ الإيمان بأنَّ الدين الإسلامي هو أهم مصادر الأخلاق والقيم والقواعد الخلقية العامة، وأهم العوامل في بناء هذه الأخلاق في النفس وإعطائها الطابع الإسلامي المميز لها.

ز ـ الإيمان بأنَّه لا قيمة للتربية والتوجيه إذا لم يساعد الفرد على بناء ضميره الداخلي وبأنَّه لا قيمة لأية مبادئ وقواعد خلقية إذا لم تتضمن إلزام الناس باتباعها والالتزام بتنفيذها والعمل بمقتضاها، وبأنَّه لا قيمة للإلزام إلا إذا كان نابعًا من الداخل: من تقوى الله ومراقبته وخشيته.

ح - الإيمان بأنَّ المسئولية هي لب العمل الخلقي، وهي مناط الحكم الخلقي والجزاء الخلقي، بحيث لا نستطيع أن نحكم على أي فعل إنساني بأنَّه فعل أخلاقي ولا أن نرتب عليه أي جزاء خلقي إلا إذا توفرت لصاحبه مقومات وشروط المسئولة الخلقية التي من أهمها الإرادة الحرة والعقل السليم والوعي الكامل، والقدرة البدنية والعقلية والنفسية والاعتقاد الجازم والقيام بالفعل الشروط. قال تعالى:[**كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ]** (83) وقوله تعالى: [**وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى**] (84).

هذه بعض المبادئ التي تقوم عليها نظرة الإسلام إلى الكون والإنسان والمجتمع والمعرفة البشرية والقيم الخلقية.

ثانيًا ـ المبادئ التربوية التي ينبغي أن تبنى عليها الفلسفة التربوية الإسلامية:

وبجانب تلك المبادئ التي يغلب عليها الطابع الفلسفي، لابد أن تتضمن فلسفة التربية فلسفة التربية مجموعة أخرى من المبادئ يغلب عليها الطابع التربوي والنفسي وتستمد وجودها من الأبحاث والعلوم التربوية والنفسية والدينية، وذلك ليقيم عليها النظام التربوي تصوره لمفهوم العملية التربوية وعملية التعلم ولوظائف التربية وأهدافها وطرقها وأساليبها ووسائلها. وفي حال كون الفلسفة التربوية المراد بناؤها فلسفية إسلامية، فإنَّه لا بد أن تُقاس هذه المبادئ بمقياس الإسلام. ومن أهم هذه المبادئ ما يلي:

1- التربية تعنى بتنشئة الفرد وتنمية كافة جوانب شخصيته وإعداد لحياة كريمة ناجحة في مجتمع معين، كما تعنى بتقديم المجتمع وتطويره وتغييره إلى الأفضل في جميع مجالات حياته الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية...وهي عملية إحداث تغيير مرغوب فيه في سلوك الفرد وفي أحوال المجتمع. أو هي الجهود التي تبذل لإحداث التغير المرغوب فيه في سلوك الفرد وفي أحوال المجتمع وفي حياته. (85).

2- إنَّ التربية بمفهومها الواسع – كالمفهوم السابق- تشمل التربية المقصود التي تتم تحت رعاية وتوجيه مؤسسات تربوية أسست لهذا الغرض، والتربية غير المقصودة التي تتم عن طريق مؤسسات لم تنشأ أساسًا للتربية كالمؤسسات الإعلامية، والتربية العريضة التي تتم عرضًا وبطريقة غير مقصودة. وهي بكونها " عملية من العمليات السلوكية" ولا يمكن أن يتحقق مفهومها كاملًا إلا إذا نتج عنها تغير في سلوك الفرد أو حياة المجتمع.

3- إنَّ التربية في مفهومها الواسع الشامل تتلاقى وتتداخل مع مفاهيم كثير من العمليات الأخرى التي تستهدف التغير في سلوك الفرد وفي حياة المجتمع، وذلك مثل عملية

التعلّم، وعملية النمو، وعملية التكيف النفسي والاجتماعي، والفيزيقي، وعملية التطبيع الاجتماعي، وعملية التفاعل واكتساب الخبرة، وعملية الإصلاح الاجتماعي والتغير الاجتماعي والتنمية الاقتصادية والاجتماعية. ولا تعتبر التربية ناجحة إلا إذا ساهمت في هذه العمليات جميعًا فساعدت على التعلم الصحيح أو التغير في السلوك الناشئ عن خبرة، وعلى التفتح والنمو في استعدادات الفرد وميوله وقدراته، وعلى تكيف الفرد وتلاؤمه مع نفسه ومجتمعه وبيئته، وعلى تطبيع الفرد اجتماعيًا ومساعدته على اكتساب المعارف والأفكار والمهارات والقيم والاتجاهات والعادات السائدة في مجتمعه والصفات التي تميزه كفرد اجتماعي، وعلى تيسير عملية تفاعله مع بيئته ومجتمعه لاكتساب الخبرات المرغوبة، وعلى إصلاح المجتمع وتغيره في الاتجاه المرغوب وتنمية تنمية شاملة متكاملة.

4- إنَّ نظرة الإسلام إلى التربية لا تختلف عن النظرة الحديثة إليها، حيث إنَّه ينظر إلى التربية المسلم نظرة كلية لا تتجزأ، ويدعو إلى تكامل الخبرة الذي يقتضي أن يكون كل شيء في المدرسة وفي الأوساط المختلفة التي يتفاعل معها المتعلم مربيًا، وليس مربي مجرد درس الدين ومدرس الدين أو موعظة المسجد، ويؤكد على كثير من المعاني ذات القيمة التربوية البالغة الأهمية كاعتبار التربية عملية إصلاح للفرد وتقويم للاعوجاج البشري وعملية إيصال للناشئ إلى كماله تدريجيًا واعتبار العبادة خير سبيل لصياغة الإنسان وتطهيره ظاهريًا وباطنيًا وتعليمه كيف ينكر ذاته ويرتفع عن شهواته ويروض نفسه على تسليمها المطلق لربها وعلى عدم استعباد نفسه إلا لربه وخالقه ومصدر نعمته كلها....واعتبار التربية عملية روحية وأخلاقية وعقلية واجتماعية ترمي إلى تهذيب الفرد وإعطائه قيمًا ومبادئ ونماذج عليا في حياته وإلى إعداده للحياة الدنيا والآخرة وإلى تنمية كافة جوانب شخصيته وتزويده بكافة المعارف والمهارات والاتجاهات النافعة وإلى تنمية مهارة التعليم الذاتي.... قال تعالى: [**وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**].(86)

هذه بعض المبادئ التي ينبغي أن تتضمنها فلسفة التربية الإسلامية. وهناك مبادئ كثيرة أخرى لا يتسع المقام لذكرها. ونرى من خلال هذا العرض للفكر التربوي الإسلامي الأصيل، بأنَّه لا يمكن أن يوجد مبدأ **تربوي يؤدي** الأخذ به إلى خير حقيقي للفرد والمجتمع، إلا ويسمح به الإسلام دين الحق والخير والعدل والمصلحة العامة والتقدم الحقيقي. فعلينا – نحن المسلمين- أن نعكف على التعمق في دراسة ديننا وفكرنا التربوي الأصيل ونستخلص منه أسس ومبادئ فلسفاتنا ونظرياتنا في الحياة بما في ذلك

فلسفتنا ونظريتنا التربوية، لأنَّه فيهما ما يفوق أحداث المبادئ والأسس[87]. وصدق الله العظيم في قوله تعالى: [وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ]. [88]

ثانيًا ـ أهم مقومات وشروط الفكر التربوي الإسلامي:

- أن يكون جميع مبادئه ومعتقدته متمشية مع روح العقيدة الإسلامية ومع تعاليم الإسلام وأحكامه.
- أن يكون مرتبط بثقافة المجتمع المسلم وبقيمة وآماله وأهدافه واحتياجاته ومتطلباته في التنمية من القوى البشرية وبمشكلاته التي يرغب في حلها والتغلب عليها.
- أن يكون منفتح على جميع التجارب الإنسانية الصالحة، حيث إنَّ (الحكمة ضالة المؤمن التقطها أنى وجدها) فالمسلم الواعي لا يعارض في الاستفادة من أية تجربة نافعة وناجحة.
- أن يأتي بناؤه نتيجة لتجربة طويلة ناجحة ولدراسة عميقة واسعة لمختلف العوامل والجوانب في الحياة ولمختلف العلوم وفروع المعرفة والخبرة الإنسانية، خاصة ما كان منها متعلقا بالكون والإنسان والمعرفة البشرية والقيم الإنسانية والتغير الاجتماعي والتعلم والتربية.[89]
- أن يكون شامل من حيث مصادره ومحتواه يرجع إلى العديد من المصادر، وتأخذ في حسابه العديد من العوامل الروحية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية والنفسية التي شأنها أن تؤثر في العملية التربوية وفي المجهود التربوي، ويحتوي على مقدار واسع من المبادئ والمعتقدات التي تصلح لتوجيه كافة جوانب العلمية التربوية من أهداف تربوية ومناهج دراسية وطرق ووسائل وأساليب تعليمية وتوجيهية وتقويمية إدارية وعلاقات إنسانية وإعداد وتدريب المدرسين وغير ذلك من الجوانب التربوية.
- أن يكون انتقائي فيما يختاره من مختلف المصادر والفلسفات ووجهات النظر والعلوم والفنون والتجارب، بحيث يختار من هذه كلها ما يتفق مع روح الإسلام وماله قيمة عالية وفائدة تربوية في مجتمع إسلامي.
- أن يكون خالـــي من الفجوات والتنافر والتضارب والصراع الحاد بين أجزائها، ومن التطرف في أي اتجاه، ومن التناقض والتضارب بين المبادئ والمعتقدات التي يبنى عليه.

- أن يكون سليم في الأفكار والمبادئ والمفاهيم التي يبني عليه متسم بالعمق والدقة والوضوح وبالواقعية في حدود الإمكانات المادية والبشرية الموجودة.
- أن يتم تحديده النهائي عن طريق العمل التعاوني الجماعي الذي ينبغي أن يشرك فيه أكبر عدد ممكن من المتخصصين والمشتغلين والمهتمين بشؤون التربية والتعليم والفكر وبمختلف العلوم والمعارف الإنسانية التي لها صلة بالفكر التربية.
- إن يكون مرن قابل للتعديل والتغيير والتطوير في ضوء ما يجد من حاجات ومن أبحاث ودراسات في المجالات التربوية المختلفة، وما يجد من اجتهادات وتفسيرات صائبة لنصوص الدين، وفي ضوء ما تسفر عنه التجارب العملية من نجاح أو فشل في حقل التربية والتعليم. (90).

ثالثًا ـ آثار الفكر التربوي الإسلامي على المجتمع:

ينطلق الفكر التربوي الإسلامي ممَّا جاء به محمد- صلى الله عليه وسلم - من تعاليم سماوية وسنة، وما عمل به وأمر صحابته والتابعين له أن يعملوا به، وأيضًا بما جاء به وأصحابه من بعده تنفيذًا لأوامره، واجتنابًا لما نهى الله عنه ورسوله، واجتهادًا في توضيح منهجه في التربية، وأسلوبه في المعاملة، الذي انطلق من تربية سماوية روحية وجسدية، كانت وما تزال منهج فكر ومنهج عمل. (91)

على أنَّ الفكر التربوي الإسلامي يقرن بين الدعوة للإيمان، والدعوة للعلم، والدعوة إلى العبادة مقرونة بالدعوة إلى العمل، والدعوة إلى الفكر مقرونة بالدعوة إلى التنمية الروح والوجدان، والدعوة إلى الغاية مقرونة بالنظر إلى الوسيلة. (92)

وبذلك نجد الفكر التربوي الإسلامي أسبق النظريات التربوية الحديثة والأفكار المعاصرة في دراسة الجنس البشري وحاجاته وميوله واتجاهاته والفروق الفردية بين أفراده، فهو يمزج بين العلم والعقيدة، ويربط بين العلم بحاجات البشـــر ومنافعهم، حيث يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : "اللهم علمني ما ينفعني وانفعني بما علمتني وزدني علمًا والحمد لله على كل حال" كذلك فهو يهتم بالفروق الفردية، حيث يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : **" يا ابن عباس لا تحدّث قومًا حديثًا لا تحتمله عقولهم"** وكذلك يقول **" أمرنا معاشر الأنبياء أن نحدث الناس على قدر عقولهم "**، وهو - أيضًا - يهتم بالجوانب التطبيقية والعملية يقول عليه الصلاة والسلام: **" طُوبَى لِمَنْ عَمِلَ بِعِلْمِهِ، وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ "** [المعجم الكبير

لطبراني ، رقــم الحديث : 2307] ، **وقال " كُلُّ عَلْمٍ وَبَالٌ عَلَى صَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ بِهِ** ".[المعجم الكبير لطبراني ، رقــم الحديث : 131]

لذلك عكف رجال الفكر الإسلامي على دراسة الإسلام واتخاذ نبيه قدوةً حسنةً يقتدون به، ليبينوا للناس ما جاء به من تربية، وما كان عليه من خلق، مشيرين إلى أساليب التربية الإسلامية في تقويم النفوس، وفي إعطاء المربي المكانة البارزة، نظرًا لدوره الأخلاقي إلى جانب دوره التعليمي، حيث يستندون إلى ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية في الأسلوب الذي يجب على المعلم أن يتبعه بصفته كمرب وكمعلم، ومن ذلك قوله تعالى: [**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ َحْسَنُ**] [93]. وقول الرسول- صلى الله عليه وسلم - **"علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من العنف"** وقوله - صلى الله عليه وسلم - **"لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون** منه" ولهذا فإنَّ التربية والتعليم مهنة تحتاج إلى خبرة وتمرين وممارسة يقول ابن عبدون " والتعليم صناعة تحتاج إلى خبرة ودراية ولطف، فإنه كالرياضة للمهر الصعب، الذي يحتاج إلى سياسة ولطف وتأنس حتى يرتض ويقبل التعلم".

على أنَّ المعلم يجب أن يكون فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة والعمل على تحصيل الملكة التي هي صناعة التعليم،[94] وهو أيضًا يجب أن يكون قدوة لطلابه، يراعي حاجاتهم ورغباتهم واستعداداتهم والفروق الفردية بينهم، كذلك يجب أن يربط بين العمل والفكر، وأن يكون عطوفًا عليهم حليمًا لينًا معهم، يضعهم موضع بينه، وأن يغمرهم بنصحه مبينًا لهم طلب العلم للثقافة وللقرب من الله وليس للرياسة والمباهاة والمنافسة، كما أنَّه يجب عليه أن يهتم بأخلاقهم كاهتمامه بعقولهم، وأن يربي فيهم ملكة الاجتهاد والنظر دون التسليم والتقليد حتى ينشأ الواحد منهم وله شخصيته المستقلة وأفكاره الخاصة، ويرى ابن جماعة أنَّه على المدرس إلا يدرس وقت جوعه أو عطشه أو غضبه أو همه أو اضطرابه أو قلقه، وينصحه إلا يطيل الدرس تطويلًا يمل، أو بقصره تقصيرًا يخل، ويراعي في ذلك مصلحة الحاضرين، كما أنَّه يجب عليه إلا يتجاوز صوته المجلس ولا يقتصر عن سماع الحاضرين، وعليه إلا يكون في المجلس مكان مميز أحاد الناس، بل كان من سبق لموضع فهة أولى به مستثنيًا بذلك ما تدعو إلية الضرورة العملية من جلوس العلماء في أمكنة خاصة.[95]

وراعتِ التربية الإسلامية اللعب عند الأطفال، فهو نوع من العمل بالنسبة للطفل والحركة، حيث إنَّ اللعب يبعث في الأطفال نشاطًا في أجسامهم، وقوةً في عقولهم، ولدة

في حياتهم مادام سائرًا على محور النظام والترتيب، ومناسبًا لقواه العقلية، ويقول ابن مسكويه" ينبغي أن يؤذن للطفل في بعض الأوقات أن يلعب لعبًا جميلًا ليستريح إليه من تعب الأدب، ولا يكون في لعبة ألم ولا تعب شديد، فالرياضة تحفظ الصحة وتنفي الكسل، وتطرد البلادة وتبعث النشاط وتزكي النفس. (96)

الخاتمـة:

- إنَّ الفكر التربوي الإسلامي ينطلق ممَّا جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - من تعاليم سماوية وسنه نبوية، وما عمل به وأمر صحابته والتابعين له أن يعملوا به، وبما جاء به أصحابه من بعده تنفيذًا لأوامره، واجتنابًا لما نهى الله عنه ورسوله، واجتهادًا في توضيح منهجه في التربية، وأسلوبه في التربية، الذي انطلق من تربية سماوية روحية وجسدية، كانت وما تزال منهج فكر ومنهج عمل.

- الفـكر الإســـلامي، في حقيقته بناء متكامل، يشد بعضه بعضًا في تناسق وتنظيم بديع، وينظر إلى التربية باعتبارها نظامًا شاملًا تتفاعل أجزاؤه بعضها ببعض، وتتكامل في وحدة تامة، يصدق ذلك على مدخلاتها وعملياتها، وعلى أهدافها ومحتوياتها وطرائقها ووسائلها وأساليب تقويمها، ويصدق عليها نظامًا قوميًا شاملًا وأنظمة قطرية متعددة، كما يصدق على مؤسساتها، مؤسسة إلى جانب مؤسسة.

- الفكر التربوي في الإسلام، فكر قائم بذاته يظهر من خلال تعاليمه ومن خلال تناسقه وتنظيمه، فكل ما يأمر به الإسلام يوصل إلى فكر متناسق ومتكامل.

- الفكر التربوي في الإسلام هو التربية الإسلامية والمنهج المتكامل الذي يتلاءم مع النفس البشرية في كل صعودها وهبوطها، ونموها وتوقفها، ورفضها وخضوعها، وحركتها وسكونها، وقلقها وهدوئها .

- الفكر التربوي الإسلامي ينبع من القرآن الذي سلك مسلك التدّرج واليسر والسهولة فقد عمد أيضًا إلى متابعة النفس البشرية لتحيا في اتّزان يكفل لها الصحة والعافية، حيث صبغ أحكامه بصبغة الموعظة والنصح والإرشاد.

- إنَّ في الفكر الإسلامي عقيدة ونظامًا قوام الحياة السليمة للإنسان والمجتمع، وقد اهتدى به العرب كما اهتدت به أمم أخرى غيرهم فكان أساسًا لحضارة إنسانية شاملة.

- إنَّ العرب أمة واحدة، لها من المقومات القومية مجتمعة ما يندر أن يتوافر لغيرها من الأمم. وحسبنا ونحن نتحدث عن دور التربية في تحقيق إرادة التغيير الشامل أن يخص من تلك المقومات وحدة اللغة ووحدة الثقافة ووحدة المصالح المشتركة والمصير الواحد.

ـ يترتب على التربية الإسلامية الإحاطة بالعالم المعاصر ومجمل أحوال الحضارية فكرا، وأنظمة وواقعًا، استيعابا للثورة العلمية التقنية وللمذاهب الفكرية السليمة فيه، والمشاركة في تحقيق السلام العالمي القائم على الحق والعدل والمساواة.

الهوامش:

[1])) https://islamonline.ne / يوم الجمعة، الموافق: 2023/2/3. ساعة الدخول: 8:00 مساءً.

[2]) من أسس التربية الإسلامية، د، عمر محمد التومي الشباني، المنشاة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، ط1، 1982م، ص 28.

3_ https://islamonline.net _ / يوم الأحد الموافق 2023/1/22/ ساعة الدخول/ 6:33مساءً

[4]) https://www.alukah.net/culture يوم الأحد الموافق2023/1/22. ساعة الدخول، 7:55 مساءً.

[5]) سورة النساء، الآية 82.

[6]) سورة النجم، الآيات 3،4.

[7]) سورة النساء، الآية 83.

[8]) سورة التوبة الآية 22.

[9]) سنن الترمذي، باب العلم، صحيح أبو داود3641، ابن ماجه 223، ت، محمد علي، محمد عبدالله، دار ابن هيثم، مصر، ط1، 2004م، ص668.

[10]) https://www.alukah.net/culture/ . ساعة الدخول 3:26 مساء. يوم الأحد / الموافق/ 2023/1/22.

[11]) طرائق تدريس الفلسفة والتربية، د، صالحة سنقر، ملكة أبيض، مطبعة خالد بن الوليد، دمشق، 1986م، ص 16/15.

[12] ـ سورة الحج، الآية 5

[13]) سورة الشعراء، الآية 18.

14) سورة الأسراء، الآية 24.

15) أصول التربية، د، أحمد محمد الطبيب، جامعة طرابلس، كلية الآداب، ط5، 2003، ص19.

16) سورة المائدة، الآية 3.

17) المرجع السابق، ص 169.

18) سورة المائدة، الآية3.

19) سورة آل عمران، الآية 110.

20) https://mawdoo3.com/% يوم الأربعاء، الموافق 2023/1/25/ ساعة الدخول/ 10:58صباحًا.

21) أصول التربية، أحمد محمد الطبيب، مرجع سابق الذكر، ص171.

22) سورة الذريات، الآيات 56،57،58.

23) سورة فاطر، الآية 28.

24) سورة المجادلة، الآية 11.

25) سورة القلم، الآية 4.

26) سورة النحل، الآية 43.

27) سورة آل عمران، الآية 18.

28) https://mawdoo3.com يوم الأربعاء، الموافق 2023/1/25، ساعة الدخول 10:25ص باحًا.
29) أصول التربية، د، أحمد محمد الطبيب، مرجع سبق الذكر، ص 172،171.
30) سورة الحشر، الآية 7.
31) رواه الحاكم في المستدرك 172/1. رقم الحديث : 319
32) أصول التربية، د. أحمد محمد الطبيب، مرجع سبق الذكر، ص 172.
33) رواه الدارمي في مسنده رقم الحديث 2573
34) سورة التوبة، الآية 105.
35) أصول التربية، د. أحمد محمد الطبيب. مرجع سبق الذكر، ص174.
36) سورة الطور، الآية 21.
37) سورة البقرة، الآية 286.
38) رواه البخاري في صحيحه ، رقم لاالحديث813 .
39) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد
40)
41ـ سورة البقرة، الآية 143.
42) سورة القصص، آية 77.
43) سورة الأنبياء، الآية 107.
44) رواه مسلم.
45) الغزالي، المستصفي، ت، محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية/ ط1، 1993م ج1/ ص287.
46) سورة النحل، الآية 78.
47) سنن الترمذي، تأليف، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ت، محمد علي، محمد عبد الله، باب ما جاء كل مولود يولد على الفطرة، (صحيح) (البخاري 1358، مسلم 2658)، ص 543.
48) سورة الإسراء، آية 44.
49) سورة البقرة، الآية 219.
50) سورة النساء، الآية43
51) سورة المائدة، الآية 90
52) سورة المائدة، آية 91.
53) القرآن أصل التربية وعلم النفس، أحمد جهان الفورتية، دار الملتقى للنشر، ط1، ليماسول، قبرص، 1994، ص17،16.
54) سورة البقرة، الآية 219.
55) سورة النساء، الآية 34.
56) نفس المرجع السابق، ص 19.
57) سورة القمر، الآية 49.
58) سورة الرحمن، الآيات 6،5
59) سورة الملك، الآية 3.
60) سورة يس، الآية 40.
61) موقف الإسلام من المعرفة والتقدم والفكر في الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة، د. محمود حب الله، (جمع وتقديم: محمد خلف الله، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1963، 41،30.
62) سورة الأنعام، الآية 141.

63) سورة البقرة، الآية 190.
64) سورة لقمان، الآية 19.
65) سورة الأسراء، الآية 37.
66) سورة الرحمن، الآية 33.
67) من أسس التربية الإسلامية، د. عمر محمد التومي الشيباني، مرجع سبق ذكره، ص 40،39.
68) سورة الرحمن، الآية 4،1.
69) سورة التين، الآية 4.
70) سورة غافر، الآية 64.
71) سورة لقمان، الآية
72) سورة الإسراء، الآية 33.
73) سورة النساء، الآية 29.
74) سورة الحجرات، الآية 13.
75) من أسس التربية الإسلامية، مرجع سبق الذكر، ص 41، 42.
76) سورة الزمر، الآية 9.
77) سورة المجادلة، الآية 11.
78) سورة البقرة، الآية 255.
79) سورة الفلم، الآية 4.
80) سورة الرعد، الآية 11.
81) نفس المرجع السابق، ص 47.
82) الثقافة العربية، ثقافة عربية أصيلة وفكر إنساني منفتـــح، العدد 294، بنغازي، شارع جمال عبدالناصر، عام 2008م، ص 67.
83) سورة الطور، الآية 21.
84) سورة النجم، الآية 39.
85) من أسس التربية الإسلامية، مرجع سبق الذكر، ص 49.
86) سورة البقرة، الآية 282.
87) من أسس التربية الإسلامية، نفس المرجع السابق، ص 52.
88) سورة الأنعام، الآية 153.
89) من أسس التربية الإسلامية، مرجع سبق الذكر، ص 34.
90) الثقافة العربية، ثقافة عربية أصيلة وفكر إنساني منفتح، مرجع سبق الذكر، ص 64،63.
91) التوجيه الفلسفي والاجتماعي للتربية، سيد إبراهيم الجيارة، القاهـــرة، مكتبة غريب، 1987، ص58.
92) اتجاهات التربية عبر العصور، عرفات عبد العزيز سليمان، القاهرة، الأنجلو مصرية، 1977، ص134.
93) سورة النحل، الآية 125.
94) تاريخ التربية الإسلامية، أحمد شلبي، ط2، مكتبة الانجلو مصرية، 1960، ص 174.
95) نفس المرجع السابق، ص 218، 219.
96) أصول التربية، د، أحمد محمد الطبيب، مرجع سبق الذكر، ص 191،190.